المصدر: اخـــر ســـاعـة

التاريخ : ٢٠٠٢/٧/٢٤

الرئيس محمد أنور السادات :

أول تنظيم سرى للضباط عام ١٩٣٩

• ذهبت للسينما .. عندما لم ينتظرنى عبد الناصر فى محطة القطار

فى مـذكـراته «البـحث عن الذات».. كـتـب الرئيس الراحل مـحمـد أنور السادات : تـخـرجت من الحـربية عـام ١٩٣٨.. وأصـبحت ضـابطا بالقـوات المسلحـة.. وكنت أؤمن بانه لن يخلص مصـر من الانجليز وفسـاد الحكم إلا القوة.. ولابد من تهيئة النفوس وخلق وعى بذلك.. فادرت أحاديث مع زملائى الضبـاط فى كل الأماكن الممكنة..

فى منـقـبـاد والقـاهرة

ومـدرسـة الإشـارة..

واسـتجـاب الجـمـيع

بسرعة وإخلاص..

وقـــام أول تنظيم
سرى من الضباط عام
١٩٣٩.. ضمن أعضائه
عبدالمنعم عبدالرؤوف
وكـان الرجل الثـانى
بعـدى، وعبداللطيف
بغدادى وحسن إبراهيم
وخالد محيى الدين وأحمد
سعودى وحسن عزت
والشير أحمد إسماعيل
الذى كـان يحـضـر
اجتماعاتنا دون مشاركة
سياسية فقد كان رجل
عسكرية كرس حياته لعلمه
وتخصصه..

●●●

لم ألجأ إلى
الخلايا السرية

للدفع بهذه الثورة المسلحة لبلوغ أهدافها كما فعل عبدالناصر بعد عودته من السودان فى ديسمبر ١٩٤٢ وتسلمه التنظيم فى أوائل سنة ١٩٤٣ بعد اعتقالى فى صيف ١٩٤٢ ففى تلك السنة كان خط هتلر قد بدأ فى الانكسار وبالتالى استعاد الانجليز قوتهم فى مصر فكان على عبدالناصر أن يخطط للمستقبل..

●●●

فى ٢٦ رمضان عام ١٩٤٢.. تم تجريدى من رتبتى بعد اكتشاف اتصالى بالألمان أثناء الحرب العالمية الثانية.. فى محاولة منى لتخليص مصر من الانجليز.. وسجنت بسجن الأجانب وهربت.. حتى انتهت الأحكام العرفية

فى سبتمبر ١٩٤٥.. فعدت للحياة المدنية.. ثم اشتركت فى قضية اغتيال أمين عثمان.. من يناير ١٩٤٦ حتى حكمت المحكمة ببراءتى أواخر عام ١٩٤٩..

لم يعد هناك ما يمنع عودتى للجيش..

وتذكرت صديقى يوسف رشاد.. الطبيب الذى صادقته عام ١٩٤١ فى منطقة الجراولة بالصحراء الغربية.. فقد أصبح طبيبا فى الحرس الملكى.. واستمع يوسف رشاد لى بهدوء ووعدنى بالاتصال بى فى أقرب وقت.. ويوم ١٠ يناير ١٩٥٠ اتصل وطلب منى مقابلة حيدر باشا قائد عام القوات المسلحة.. والذى انهال على بالسباب..

ــ أنت ولد مجرم.. تاريخك أسود..

حاولت الكلام.. لكنه أمرنى بالصمت وأمر كاتم أسراره..

ــ الولد ده ترجعه الجيش النهاردة..

وعدت فى ١٥ يناير ١٩٥٠ برتبة يوزباشى وهى الرتبة التى خرجت بها، وكان زملائى قد سبقونى برتبتين صاغ وبكباشى..

●●●

كان أول من زارنى مهنئا..

جمال

عبدالناصر ومعه عبدالحكيم عامر وعلمت من عبدالناصر أن تنظيم الضباط الأحرار قد أصبح أوسع انتشارا وأن قوته تشتد يوما بعد يوم.. وكأنما أراد أن يثبت لى مدى قوة التنظيم طلب منى التقدم لامتحانات الترقية لأستعيد رتبى.. والتنظيم سيذلل أى صعاب.. وحصلت على رتبة بكباشى فى وقت قصير..

طلب منى عبدالناصر ألا أقوم بأى نشاط سياسى واضح.. لأنى سأكون مراقبا، لكنه كشف لى خريطة الضباط الأحرار فى وحدات الجيش..

عند اعتقالى عام ١٩٤٢ كان عبدالناصر فى السودان.. وعند نزول كتيبته لمصر اتصل به عبدالمنعم عبدالرؤوف.. لينضم للتنظيم.. لانه ضابط ممتاز.. ولم يكن صعبا على عبدالناصر أن يزيح عبدالمنعم ويتولى قيادة التنظيم بدلا منه..

كانت قيادة عبدالناصر تختلف عن قيادتى.. فقد شكل خلايا سرية لا تعرف بعضها البعض.. شملت كل الجيش خاصة المناطق الحساسة..

فى سنة ١٩٥١ شعر عبدالناصر أن التنظيم وصل مرحلة النضج.. ولابد له من قيادة خاصة، اختارهم من احتك بهم فى حرب فلسطين مثل كمال الدين حسين وصلاح سالم وعامر وعبدالمنعم عبدالرءوف والبغدادى وحسن إبراهيم وخالد محيى الدين وأنا.. رغم أنى بقيت بعيدا عن التنظيم ثمانى سنوات منذ فصلى من الجيش وحتى عودتى

ومما لاشك فيه أن عبدالناصر كان واثقا أننى سأقف إلى جانبه باعتبارى قوة لها تجربتها وتاريخها.. وكان يقضى معى خمسة أيام من كل إجازة له التى لا تتعدى الاسبوع..

●●●

كان حريق القاهرة جرس الإنذار قبل ثورة دموية لو انها قامت لهدمت وأحرقت كل شىء.. وكان علينا مراجعة حساباتنا وتذكرت يوسف رشاد الذى أصبح طبيب الملك الخاص.. لقد آن الأوان لاستخدام صلاته لمصلحة القضية التى نعمل لها.. وجدت يوسف رشاد يأخذ كل أقوالى مسلما بها.. ووجدت الطريق مفتوحا لتضليل الملك وتحذيره حتى يقوم تنظيمنا بالثورة.. وكنت أقدم له معلوماتٍ خاطئة.. وعندما كان يعرض علىَّ منشورات

الضباط الأحرار كنت أوهمه أنها من صنع خيال ضابط يحب التظاهر والعظمة وعندما تصل إليه الحقائق كنت أعمل على تصويرها فى عينه على أنها أكاذيب ومبالغات لا نصيب لها من الصحة..

وكنت أسعى لمعرفة أخبار الملك وخططه.. وعرفت من يوسف رشاد بعد حريق القاهرة أن الملك يشعر أنه لم يعد له مكان فى مصر.. بل وأعد قائمة بأسماء من سيصاحبونه فى المنفى ومن بينهم يوسف رشاد بالطبع.. كما أنه بدأ يرسل الذهب فى طائرته الخاصة إلى بنوك جنيف الأمر الذى أقنعنى وعبدالناصر أن حركة الضباط الأحرار

لن تجد مقاومة تذكر من جانب الملك..

وجمعنا الهيئة التاسيسية فى فبراير ١٩٥٢ وقررنا القيام بالثورة فى نوفمبر ١٩٥٢.. ليكون الملك قد عاد من الاسكندرية ونركز ضربتنا فى القاهرة..

باستثناء عبدالناصر لم يعلم أحد باتصالاتى بيوسف رشاد..

●●●

فى ١٨ يوليو فوجئنا بالملك يلغى انتخابات مجلس إدارة نادى الضباط.. إذن قد بدأ الملك يسترد أنفاسه.. بل ويتحدى وفى نفس الوقت أبلغ أحمد أبوالفتح الصحفى الوفدى.. جمال عبدالناصر وكان صديقا شخصيا له. بأن الملك يعتزم تغيير الوزارة.. ويعتمد اللواء حسين سرى عامر وزيرا للحربية.. وهو يعرف الكثير عن الضباط الأحرار وسيقضى عليهم.. بمجرد توليه الوزارة ليثبت ولاءه للملك..

وكان أمامنا.. إما نحن.. وإما حسين سرى عامر..

ولم يتردد عبدالناصر..

وقرر القيام بالثورة.. فى يوليو بدلا من نوفمبر..

وفى يوم ٢١ يوليو ٥٢ أرسل عبدالناصر رسالة لى مع حسن إبراهيم تسلمتها فى مطار العريش يطلب منى النزول للقاهرة يوم ٢٢ يوليو لأن موعد الثورة تحدد ما بين ٢٢ يوليو و٥

أغسطس ووصلت للقاهرة يوم ٢٢ يوليو.. لكنى لم أجد عبدالناصر فى انتظارى على محطة السكة الحديد كعادته فقلت إن الوقت لم يحن بعد، واصطحبت زوجتى إلى السينما.. لكننى عندما عدت فى منتصف الليل وجدت بطاقة من عبدالناصر يطلب منى مقابلته فى منزل عبدالحكيم عامر الساعة ١١ مساء.. وعلمت من البواب أن عبدالناصر أتى إلى بيتى مرتين.. الأولى فى الثالثة عصرا والأخرى فى العاشرة..

●●●

غيرت ملابسى وأخذت مسدسى وتوجهت إلى منزل عامر ولم أجده فذهبت إلى ثكنات العباسية.. لم أكن أعرف كلمة السر فمنعونى من الدخول. وطلبوا منى أن ألزم بيتى.. ناورت وحاولت كثيرا لكن دون فائدة.. كدت أجن فكيف تقوم الثورة أمام عينى ولا أشارك فيها؟ ناورت عدة مرات حتى التقيت بعبدالحكيم عامر وهو ينظم مرور القوات ناديت عليه وتعرف على صوتى.. عرفت منه أن القيادة قد سقطت وقد اقتحمتها قواتنا بقيادة يوسف صديق وعامر وأن رئيس الأركان حسين فريد قد حددت إقامته.. أما بقية القادة فكان عامر يقودهم إلى المعتقل فى مقر الكلية الحربية آنذاك..

●●●

أخذت عربتى وتوجهت إلى رئاسة الجيش، حيث طلب عبدالناصر أن أتصل بجميع الوحدات لأرى سير الأمور.. نزلت إلى حجرة التليفونات بالطابق الأرضى.. لكنى وجدتها خالية.. ناديت

على العساكر وطمئنتهم وبدأنا التتميم على الوحدات فى سيناء والصحراء الغربية والاسكندرية والقنطرة شرق والعريش ورفح..

وحدث أن اتصل بنا حيدر باشا وزير الحربية يطلب توصيله بالضابط النوبتجى. فأوصلته بعبدالناصر.. الذى لعب دور الضابط النوبتجى وقال لحيدر باشا لا توجد أية تحركات فى الجيش.. بعد قليل اتصل حيدر باشا يطلب توصيله بسلاح المدرعات فاصدرت أوامرى إلى العساكر بإهماله..

فى الثالثة صباحا.. اتصل عبدالناصر باللواء محمد نجيب فى بيته بحلمية الزيتون وأرسل عربة مدرعة أتت به إلينا فى الفجر..

●●●

فى شرفة القيادة ونسيم الصيف الرقيق يلفح وجهى.. وقفت أتأمل الشارع الفسيح الطويل الممتد بامتداد ثكنات الجيش وقواتنا تتدفق إليه من مصر الجديدة ومنشية البكرى وتتجه إلى قلب القاهرة ـ المدفعية والمشاه والدبابات..

كل شيء هادىء فى ساعات الصباح المبكر.. ولكن الثورة قد بدأت أخيرا تحقق الحلم الذى عشت به وله سنوات عمرى.. تحول إلى حقيقة يزخر بها صدرى.. تستولى على كيانى فيتضاءل إلى جانبها هذا الكيان..

كل شيء فى الواقع يتضاءل.. يصبح وهما.. إلا هى.. الحقيقة الوحيدة.. شامخة مهيبة تحجب الرؤية عن كل ما عداها..

هكذا كانت فرحتى بها.. أكبر وأجمل من أن أتحملها وحدى. ولذلك ما أن طلع صباح ٢٣ يوليو٥٢ حتى هرعت إلى الإذاعة أعلن ميلاد الثورة ليشاركنى الناس ما أنا فيه من سعادة..